الموضوعات

دراسات

ـ من بيروت إلى النهضة : أسئلة واختيار
لقاء مع حسن حنفي 1

ـ بعض المقترحات من أجل البديل
أحمد حرزني 20

ـ الخطيبي : فكر الاختلاف وكتابة الجسد
محمد الراهيري 30

ـ في بنية المضمون الشعري هاجس الانفصام
كمال أبو ديب 60

ـ حول مفهوم القبيلة في علم الاجتماع الاستعماري
فضة المصطفى 78

نصوص

ـ رماد الكاكي شعر
جليل حيدر 88

ـ كتاب الخروج من بحر الظلمات شعر
عبد الله راجع 91

من تراثنا الحديث

ـ الأزمة التركيبية للاقتصاد المغربي
عزيز بلال 114

مجلتان مغربيتان : أبحاث ـ الكتاب المغربي 132

* المقالات التي تنشر في المجلة تعبر عن رأي كاتبيها.
* المقالات التي لم تنشر لا ترد إلى أصحابها.

د. حسن حنفي

من بيروت الى النهضة : أسئلة واختيار

منذ العدد 23 من «الثقافة الجديدة» قررنا ان نجعل من اجتياح بيروت، من وضع القضية الفلسطينية، ومن انتشار الزمن الاسرائيلي، مدخلا، وها نحن نستمر بتغيير مكان القراءة والاسئلة. نجري في هذا العدد حوارا مع د. حسن حنفي يتم على اثر «ندوة اصلاح المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر»، وما طرحه د. حنفي من وجهة نظر في تحليل الواقع العربي الحديث، واعادة صياغة اشكاليته. لا يكفي القول بأن الحوار ــ الجدال هو الصيغة التي يطلبها وضعنا الراهن، وهو ايضا وسيلتنا لتذويب الحواجز، لان المهم هو كيف تطور الحوار نحو معرفة مؤسسة ومغيرة ترى الى الدمار في تكامله، والى المقاومة في امكانيتها، الى السؤال في ضرورته.

ث. ج. : اود ان ننطلق في هذا الحوار من سؤالين اساسيين : ما هو المشكل الرئيسي للتاريخ وللواقع العربي الاسلامي ؟ وما هي الاشكالية المركزية لوضعنا الفكري ــ الثقافي في نظركم ؟

ح. حنفي : لو اردت ان اعبر ليس فقط عن همي أنا، بل عن هموم المثقفين العرب، وأسمح لنفسي بالحديث باسمهم، لقلت إننا نعاصر ظاهرة فريدة في تاريخ المثقف العربي، هذه الظاهرة هي **ظاهرة الاحباطات المستمرة**، الاجهاضات المستمرة، وكأننا نقع بمجرد أن نتعلم السير، لم يحاول احد حتى الآن أن يفكر : لماذا حاولنا ولكن هذه المحاولة تنتهي باستمرار الى فشل اقرب مما نتوقع، حتى اننا نبذر ولا يأتي حصاد ؟

أعطي نماذج من التاريخ، واسمحول لي ان اعطي نماذج من مصر، ونماذج من العالم العربي... بعد تعاليم الطهطاوي، وتعاليم الافغاني وغيرهما، قامت ثورة عرابي في 1882 باسم الدستور، والدفاع عن الفلاحين، والحرية ضد توفيق المتعاون مع الانجليز. فإلى ماذا انتهت الثورة ؟ اجهاض مبكر، وفشل، واحتلال. كانت المحاولة من الجيل الثاني، لطفي السيد وغيره، ومنها خرجت الاحزاب الوطنية المصرية. قامت ثورة 1919 بناءً ايضا على فكرة الشعب، والحرية والدستور والنضال ضد الاستعمار... وماذا كانت النتيجة ؟ انتهت ايضا الى نوع من الليبرالية لا كنظام سياسي، ولكن كنظام اجتماعي، كان الاقطاع، وبالتالي فشلت الحياة السياسية وضعفت قضية العدالة الاجتماعية. وبالرغم من النضال ضد الاستعمار، كان

هناك نوع من التعاون مع الغرب، مع باشوات مصر الوطنيين، ولكنهم كانوا يرون ان الحليف هو الغرب. ثم بعد ذلك، بعد ثورة 19، استمر النضال ضد الانجليز، ودخل الفكر الاشتراكي في اتون المعركة، وظهرت الطليعة الوفدية واليسار المصري، من خلال الحركات الوطنية، وفي اواخر الاربعينات كانت مصر تغلي، وكانت حبلى بالثورة، اختطفها الضباط الاحرار، وقاموا ربما بأروع انجاز على المستوى الاجتماعي فيما يتعلق بالاصلاح الزراعي، والتصنيع، وتكوين القطاع العام واعطاء العمال حقوقهم، ولكن تحولت الثورة الى ثورة مضادة من الداخل، وتحول المشروع القومي العربي من مناهضة الاستعمار والصهيونية الى الاستسلام، من الدفاع عن الحريات الى قهر وتسلط، من وحدة الامة الى تحزب وطائفية وحروب اهلية، من تجنيد الجماهير وادخالها في اتون المعركة، الى نوع من ابعاد الجماهير، وتحول المشروع العام في ايدي الفئات الحاكمة. أقول اذن، هذه هي الظاهرة التي اسميها ظاهرة **الاجهاضات المستمرة**، ونحن ابناء جيل واحد، يعني لو اخذت المشرق العربي الذي قارب الخمسين عاما فستجد انه عاصر معظم هذه الاجهاضات، رأى الثورة العرابية، ورأى الثورة المضادة، ولا ندري كم تجربة سيراها ايضا. هذه الظاهرة هي التي اتوقف امامها باستمرار، وأشخص بها المرحلة الحالية التي تمر بها المجتمعات العربية. الا يمكن ان نضمن، مرة، ثورة دائمة بأي شكل كان ؟ كيف نستطيع ان نطمئن الى ان اي محاولة ــ سمها نهضة، سمها ثورة، سمها اصلاح، سمها تمرد سمها غضب، لا تهم التسمية الآن ــ لكن ألا يمكن ان تنجح محاولة ؟ جربنا الليبرالية والمحافظة الدينية، والتحالفات مع الأحزاب التقدمية، والقومية ـ جربنا كل شيء، ولكن مزيدا من الاراضي المحتلة، من القهر، ومن التفاوت الطبقي، كأن مشروعنا القومي باستمرار يحتوي في داخله على مشروع قومي مضاد ـ يعني اذا كان ابن خلدون قد وصف تطور الحضارة بأربعة اجيال : جيلين للنهوض وجيلين للسقوط، فنحن في جيل واحد رأينا اربعة اجيال. اقول اذن، هذا تشخيص للمرحلة التاريخية، والتحدي الحقيقي أمامنا نحن المثقفين العرب، هو طرح هذا السؤال : **ما هي شروط الثورة الدائمة ؟ ما هي مقومات النهضة التي لا تحتوي على انتهائها بمجرد بدايتها ؟ كيف تستطيع ان تكون لك رؤية تاريخية**، موضوع تاريخي. خلال العمل السياسي، فلا وعي سياسي بلا وعي تاريخي، هذا يتم في قومية وكأن كل نظام حاكم لا يهدف الا الحاكم وما بعده الطوفان. ربما كنا نحزن، لاننا نعيش الآن **عصر الهيمنة الاسرائيلية**، ولكن لا يهم الآن، الذي يهم الآن هو الاعداد لمئة سنة حتى تستطيع ان تضمن بعدها كيف يتحول المد التاريخي لصالحك، أي كيف يمكن اعداد جماهيرك وفكرك ونظمك الاجتماعية، وأبنيتك الفوقية وهياكلك الاقتصادية، كيف يمكن ان تعد بأكبر قدر ممكن من الضمان مستعينا بالتجارب الماضية، كيف يمكن ان تؤسس ثورات ربما لا تقطف انت ثمارها، ولكن حتى يمكن بعد ذلك ان تضمن في هذه المرة ، ان اي حركة تقدم اجتماعي او اصلاح، او ثورة لا تكبو بمجرد ان تنشأ، هذه في رأيي هي الاشكالية الحقيقية.

ث. ج. : اذن بالنسبة لكم، كتتمة للسؤال، ما هو موقعكم من هذا التأمل ؟

حنفي : ربما موقعي من هذا التأمل هو الآتي، او نتيجة تأملي لهذه الظاهرة هو الآتي: الحاضر ما هو الا تراكم للماضي، وان المحلل السياسي، لابد وأن يحلل الحاضر جيدا حتى يَعْثُر على هذا التراكم. نحن شئنا ام لم نشأ **مجتمعات تراثية**، اي انها ترى ان الحجة فيها هي حجة السلطة، سلطة الكتاب، سلطة القديم، سلطة التراث، سلطة الوحي، سلطة النص، وليس سلطة العقل أو سلطة المشاهدة، وما اكثر الاستشهاد بـ « قال الله » و « قال الرسول » الذي هو بالفعل السند الحقيقي لـ « قال الحاكم » و « قال الزعيم » و « قال الرئيس »، او الاستشهاد بالأمثال العامية، وسير الابطال.اقول اذن، هذا تكويننا، نحن مجتمع تراثي، لم نعش بعد عصر نهضة بالمعنى الأوربي، اي **التحول في نظرية المعرفة**. ذلك ان المعرفة الاوربية الحديثة لا تأتي من الماضي، من الكنيسة أو من العقيدة، او من ارسطو، ولكنها تأتي من العقل ومن الطبيعة ومن الحس، اي ان مصادر المعرفة لدينا، والتي نستعملها كحجة،هي مصادر قبلية وليست مصادر بعدية، وهذا واقع لا مفر منه، لانه لم تبدأ حتى الآن لتحويل نظرية المعرفة، ونظرية الانسان من انه روح أساسا الى انه بدن، اقول اذن : إن تحليل الحاضر من اجل العثور على مكوناته التاريخية هو مانحتاج اليه. ما الذي اشاهد في بدايات التكوين الثقافي العربي، اشاهد انه كان هناك نوع من التعددية، بمعنى كانت هناك مذاهب فقهية مختلفة، فرق كلامية مختلفة، وما دامت هذه المذاهب والاتجاهات والفرق تنشأ في المجتمع فانها تعبر عن صراع القوى الاجتماعية الموجودة. وبالفعل كان لدينا عدة فرق وعدة عقائد وعدة ثقافات وعدة تصورات للعالم، البعض منها يعبر عن تصورات وعقائد ومفاهيم للسلطة القائمة، مثلا الدولة الأموية والعباسية، ومفاهيم وتصورات وعقائد تعبر عن قوى المعارضة وهذا شيء طبيعي في اي مجتمع. وكانت المعارضة على نوعين : معارضة سرية مثلها تراث الشيعة، ومعارضة علنية، اما علنية في الداخل مثلها تراث المعتزلة، او معارضة علنية من خارج الدولة وعلى الحدود تقض مضاجعها، كما تفعل الآن في لندن وفي باريس، وهي معارضة الخوارج، اذن، هذه هي صورة العقائد والثقافات، وظلت التعددية تقريبا على ثلاثمائة عام وربما اربعمائة عام حتى أتى القرن الخامس وحسم كل شيء. انتهى تراث المعارضة، اما بالقمع او بمؤامرات الصمت، وظل تراث السلطة يعيش في وجداننا، منذ هجوم الغزالي على العلوم العقلية، ومحنة المعتزلة، منذ القرن الخامس حتى الآن، فنحن الآن، يعني وعينا القومي في كفتين : تراث السلطة وتراث المعارضة، او احادية النظرة وتعددية النظرة، هناك ألف عام من تراث السلطة وحوالى اربعمائة عام من تراث التعدد. وعينا التاريخي، والسياسي غير متفكافئ الكفتين، يعني انالماعرج اسير بقدم واحد، او انا اعور ارى العالم بعين واحدة. في رأيي هذه هي الجرثومة الحقيقية، هذا هو حجر العثرة الذي في مواجهته تفشل النظم الليبرالية، وحركات التحرير وحركات الاصلاح والثورات العربية، وهي ايضا السبب الحقيقي في وجود الاستعمار وتغلغله،

فبالرغم من موقفنا، ومن صراعنا للاستعمار نراه يعود، و ما اسهل ان يعود، لانه يعرف جيدا ما التراكم التاريخي الذي تعيش فيه انت الآن. والاستعمار ليس مجرد عدد الطائرات والبوارج الحربية، وجيوش الانتشار السريع. الاستعمار في مركز المخابرات الأمريكي يجند كل علماء امريكا بمن فيهم الفلاسفة، والمفكرين وعلماء الانسان، والمستشرقين، ولا توجد جامعة او مركز بحث يخص الشرق الأوسط الا ويعطي مواده لمركز المخابرات،وبالتالي ما اقوله هو في صميم المعركة السياسية مع انها تبدو ثقافة. فالسياسة الآن تقوم على اساس الثقافة،فالاستعمار يعرف انه يمكن بالجيوش ان تثير الشعوب لكن من خلال الثقافة، اي الاستعمار المقنع، يمكن ان يدخل الاستعمار. فالكل يعلم ان وعينا التاريخي في ألف عام من المحافظة هو الذي ساد، أي تراث السلطة : طاعة الله، وطاعة الرسول، الرأي الواحد، النص، المعرفة القبْلية، يكفيك ان تقول لا الاه الا الله، ولا يهم العمل، لا بالنسبة لك حتى لا تفعل، ولا بالنسبة لغيرك حتى لا يحكم على افعالك مادام «لا الاه الا الله» هو الاساس، وهذا تعريف اهل السنة للمسلم، وأن اهم شيء في الدولة هو الايمان والحاكم، صفته وشكله وطوله وعرضه ومميزاته... الخ. أما المؤسسات فلا قيمة لها ولا احد يفكر فيها، دور الشعوب في الرقابة لا أحد يفكر فيه. اذن في الوقت الذي نمدد فيه 500 عام الى ألـــف عام أو 800 عام وفيه المحافظة حتى يكون وعينا متكافئا، يعني متوازي الكفتين انا في رأيي هذا هو الشرط الأساسي لنجاح اي ثورة قادمة، لانك لو قمت بحركة ثورية ووعيك القومي غير متكافئ الكفتين ما اسهل على الاستعمار، بتعاون مع النظم الرجعية ان يلعبوا على كفة المحافظة الدينية ويكسروك ويطعنوك في كل شيء والجماهير معهم، لأن ثقل ألف عام اكبر بكثير من ثقل 500 عام، اذن موقفي انا هو **ضغط المحافظة الى اقصى درجة واعطاء فرصة للتعددية والعقلانية والطبيعية**، وهذا عمل عدة اجيال وهذا الذي اسميه الموقف من القديم، نقد التراث، التعامل مع القديم حتى استطيع ان امنع معوقات التقدم، اي المحافظة التقليدية، واعطي فرصة اكثر لبواعث النقد والتعددية، والخيار، والعقلانية، والمشاهدة، والحس، واهمية العمل، والممارسة، والمؤسسات ودور الشعب في الرقابة على الحكام. هذا هو في رأيي الجرثومة الحقيقية، التي لا يلتفت اليها احد. لو انا اعطي نصيحة للمخابرات الامريكية لقلت الاتي : اتركوا الأحزاب الشيوعية تقول، والحركات العلمانية تقول، والاحزاب اليسارية تقول،وكل شيء يقول، فالمشايخ معي والحكام معي وثقافات الشعب معي والاقوال العامية معي، وتفسيرات قال الله وقال الرسول معي، فهؤلاء المثقفون العلمانيون التقدميون والليبراليون والماركسيون والقوميون ما اسهل ان اعطي لكل واحد منهم مجلة وجريدة وأهيئ لهم انتخابات وأعين لهم نائبين، ثلاثة، اربعة،عشرة في البرلمان، صورة من الديمقراطية، ولكن التاريخ معي.

ث. ج. : اذا سمحتم لدي بعض الملاحظات، اجملها في التالي : أليست الصورة التي تقدمون عن التاريخ والواقع العربي صورة جزئية. تأخذ فقط تاريخ الفشل ولا تأخذ

تاريخ النجاحات وكأننا خلال مائتي سنة لم نتقدم اي خطوة، في حين نلاحظ ان هنالك مظاهر متعددة للتقدم،ثم ان النموذج الذي تقدمونه في حديثكم دائما هو اما في الحاضر مصر، او تتحدثون عن نماذج من الماضي، ثم تتحدثون عن الثورة وعن النهضة، وكأنهما برنامج واحد، فما هو المطروح بالفعل، هل الثورة ام الاصلاح ؟ ثم يظهر من حديثكم، وكأن الوعي الحاضر هو استمرار للوعي الماضي، ألا يلغي ذلك علاقة الوعي بالواقع ؟ ثم هل المشكل موجود في الفكر ام موجود في الواقع ثم في حديثكم يظهر وكأنكم تلغون العامل الخارجي، اي بالخصوص الاستعمار الغربي والاستيطان الصهيوني ؟

اعتقد في تدخلي ان هنالك، في حديث الاستاذ حنفي، نوعا من رصد يتعلق بالاشكال للواقع العربي والاسلامي الراهن، ولكن يظل هنالك جانب آخر غائب وهو التفسير، كيف الكبوة، اذا كنا نتحدث عن الكبوة، لانني اعتقد.انه لا يمكن للكبوة ان تتحول الى تغير ايجابي تتعرف ذاتها، وربما من نقائص الواقع العربي الراهن، ومن ضمنه الثقافةانه لم يستطع ان يتعرف ذاته بما فيه الكفاية، لان هنالك ادوات كان من الممكن ان تعلب هذا الدور ولكنها ظلت غائبة، لاننا في كثير من الأحيان نُقصيها باسم الاصالة. تلك الأدوات ، ربما الثقافية والمعرفية التي كان من الممكن ان تلعب دورا في تفسير الواقع العربي الراهن في كثير من الأحيان يتم اقصاؤها باسم الأصالة. نقطة ثانية اريد ان اشير وربما اشار اليها عبد الصمد من قبلي وهي انني اختتى ان يصبح كلامنا عن الكبوة والسقوط والتراجع في الفكر العربي كثيرا. خاصة وانني مع كلامك في « ندوة الاصلاح » التي شاركت فيها قبل شهر، ثم الآن استعيد ايضا حديث الاستاذ الجابري في كتابه «الخطاب العربي المعاصر» فهو ايضا يتحدث عن توقف الفكر العربي عن الانتاج الفاعلي،وأخشى ان يصبح هذا الحديث احدى الظواهر السلبية في الفكر العربي الراهن، بحيث يصبح الفكر العربي الراهن قادرا بصورة واضحة على ان يقدم سلبياته ولكنه غير قادر على ان يرصد ايجابياته، اليس في الفكر العربي منذ مائة عام اي نوع من التقدم ؟ هذا السؤال خطير، وأتساءل عن الذين يسجلون في الفكر العربي كبواته ولا يسجلون ايجابياته، هل هم يسجلون حقيقة موضوعية ام واقعا ذاتيا ؟

ح. حنفي : إن الانسانُ باستمرار يفكر فيما ينقصه اكثر مما يفكر فيما لديه، كلنا نعترف ان معارك النهضة التي بدأت منذ مائتي عام انتصرت في كثير من مواقعها، ونحن الآن نتمتع بالاستقلال وبالفكر بناء على هذه المعارك القديمة، فتركيزي على ما ينقص لا ينفي على الاطلاق الايجابيات، ولكني سأعيد النظر في هذه الايجابيات بالصورة الآتية : يقاس كل نجاح وفشل بمقدار الاهداف التي يضعها كل مشروع أمامه، فاذا حقق هذه الاهداف كان نجاحا تاما، ويكون الخطأ ليس خطأ هذا الجيل الذي وضع هذه الاهداف باعتبارها مشروعا، ولكن خطأ الجيل الثاني الذي لم يجدد هذه الاهداف ولم يطورها ولم يغيرها بناء على منطلقاته

الجديدة.اقول الآن : ماذا كان الهدف، لو اخذنا هذا التقسيم الشائع في النهضة العربية المعاصرة منذ القرن الماضي: هناك ثلاثة تيارات رئيسية : الاصلاح الديني في مدرسة الافغاني، محمد عبده، رشيد رضا... والاصلاح العلماني شبلي شميل وسلامة موسى... ثم مدرسة الفكر السياسي الاجتماعي الليبرالي مدرسة الطهطاوي وطه حسين والعقاد وخير الدين التونسي وابن ابي ضياء... لو اخذنا التقسيم الشائع الذي يقوله جميع الباحثين، وأخذنا الغايات التي حددها كل تيار : / بالنسبة لحركة الاصلاح الديني : مقاومة الاستعمار في الخارج والطغيان في الداخل، مقاومة الاستعمار بالاعداد الديني والسياسي للاستعمار البريطاني والفرنسي ومقاومة الطغيان في الداخل بتأسيس نظم برلمانية دستورية وملكيات مقيدة، التركيز على بعض جوانب الحياة الاجتماعية والعدالة الاجتماعية وربما توحيد الامة بدلا من البعثرة والتجزئ... في رأيي هذه الاهداف حُقّق معظمها. فالاستعمار المباشر لا وجود له، اي الاحتلال العسكري لمناطق كما هو الحال في قناة السويس، وفي الشام او مراكز عسكرية في الحجاز او في المغرب لكن بوجه عام تسعون في المائة من مقاومة الاستعمار الفعلي تحقق وبالتالي ليست صورة الامة في القرن الماضي هي صورتها في القرن الحالي، فيما يتعلق بالقضاء على السلطة المطلقة للحكام، في الظاهر لدينا مجالس نيابية ودساتير وبرلمانات وصحف... ومن ثم ما كان ينادي به الافغاني، ومحمد عبده من ضرورة مشاركة الشعب من خلال ممثليه، وضرورة تقييد سلطة الحاكم نجده متحققا رسميا لا ادري ربما فيما يتعلق الى اي حد الحاكم قد جددت سلطته والى اي حد هو لم يضع الدساتير بناء على مصالحه ومن ثم ما اعطاه باليمين اخذه باليسار، هذا فيه نقاش، لكن على الأقل من حيث الشكل كلنا نملك دساتير ولنا نظم برلمانية... فيما يتعلق بقضايا العدالة الاجتماعية، حقق معظمها في الثورات العربية، ربما بعد اموال النفط ازدادت المشكلة تفاقما، لكن هذه لم تكن تخطر ببال المصلحين في القرن الماضي فيما يتعلق بوحدة الامة، طبعا هناك مؤتمرات قمة وهناك محاولات للتوحيد. وعلى الأقل فيما يتعلق بالاهداف القومية هناك نوع من المشاركة والاستشارات المتبادلة. ومن ثم فان مشروع الاصلاح الديني عند الافغاني ومحمد عبده، كما تمت صياغته في القرن الماضي، حقق نجاحه لكن الخلاف هو لماذا نحن ابناء الجيل الرابع او الخامس من الحركة الاصلاحية لم نطور مشروع الاصلاح ؟ لو قارنت صورة المجتمعات الاسلامية في القرن الماضي مع صورة الغرب، لو انا كنت اعيش في القرن الماضي في وقت الافغاني ورأيت ما عليه الغرب من تقدم ورأيت ما أنا عليه من تأخر لربما وقعت في الانبهار بالغرب كما وقع فيه الاصلاح الديني، لكن عيبي انا انني لم اغير شيئا، بالرغم من ظهور النتائج السلبية للانبهار بالغرب .

ما اسميه ظاهرة التغريب لدى الجيل الرابع والخامس ان كل شيء يأتي من الغرب، من العلوم والثقافة والسياسة، والانقطاع عن التراث والدعوة الى الغرب كثقافة عالمية. ربما لو عاش الافغاني لغيّر، فمسؤوليتي أنا **انني لم اغير الغرب كنمط للتحديث**. . هذا كان سائدا وله شرعية في القرن الماضي وعلى أساسه قامت الثورة الكمالية في تركيا، وقامت على أساسه

الليبراليات في العالم العربي، والانظمة الحاكمة، ولكن بعد انهيار الثورة الكمالية في تركياوزيادة تغريب تركيا ووقوعها في الاحلاف العسكرية الغربية وانهيار الاقتصاد في تركيا، لم يراجع احد فكرة الغرب كنمط للتحديث، ما الذي حدث ؟ اشتداد الحركة السلفية في تركيا، تكفير كمال اتاتورك، واشتداد اليسار في تركيا كرد فعل على التغريب، والجماهير لا تدري ماذا تفعل لانه لم يقم احد حتى الآن بمراجعة مشروع او نمط التحديث الذي اخذه الاصلاح. ربما كان الاصلاح في القرن الماضي بالنسبة للتراث القديم دفاعا عن الهوية ضد الغرب، فالتزم بالتراث والتزم بكل ما لدينا من اصالة في الفكر وفي الحكمة وفي العلم، ومن ثم وقف من التراث موقفا خطابيا، ومن ثم اذا وقفت انا من التراث موقف المدافع، يكون خطئي انا وليس خطأ الاصلاح، ومن ثم علي اخذ موقف نقدي من التراث، تحليلي للتراث مبينا نشأته والظروف التي ساعدت عليه وانواعه، وكيف استخدمت العقائد في معترك الحياة السياسية... ربما خطئي انا، لانني لم اوظف جهود التنوير في القرن الماضي، في عدم اخذ موقف نقدي من التراث، ربما ليس خطأ الحركة العلمية العلمانية انها نادت بالعلم، وبالفيزيقا وبالرياضيات، وكانت مجلة « **المقتطف** » تعطينا آخر المكتشفات العلمية الغربية، واعتبار أن النظريةالداروينية، هي العلم وأنه لا شيء غيرها. وطبعا هذه كانت صورة العلم في القرن 19، ولكن خطئي انني مازلت اتصور ان العلم هو الاكتشافات العلمية او الاختراعات العلمية او القوانين العلمية، وليس التصور العلمي للعالم. العلم في القرن 19 جاء نتيجة نضال طويل ضد سلطة الكنيسة وسلطة ارسطو وسلطة بطليموس في الفلك، الى وقوف غاليلي في محاكم التفتيش، الى نيوتن، الى العلم في القرن 17، الى الميكانيك، ومن ثم يأتي ما يسمى بالانجاز العلمي. نحن نريد ان نأخذه ثمرة دون غرس، وبالتالي نفقد العلم والتكنولوجيا دون ان تتوفر لدينا الرؤية العلمية للعالم. وأنا في رأيي ان اهم شيء في العلم ليس هو النتيجة العلمية او القانون العلمي ولكن المدخل او موقف الانسان من الطبيعة الذي ادى في النهاية الى الوصول الى القانون العلمي. هذه المراجعة لم اقم بها أنا. ما العلم ؟ هل هو النتيجة ام المقدمة ؟ هل هو القانون ام الموقف من الطبيعة ؟ فنحن ننقل التكنولوجيا، ونريد ان نرسل صاروخا الى الفضاء وقمرا صناعيا للاتصالات اللاسلكية، وفي نفس الوقت يظل تصوري للعالم تصورا اسطوريا، تصورا متخلفا، لا أعرف بالضبط ما هي علاقة الانسان بالطبيعة، وكيف اتصور الطبيعة، ولا اعرف بالضبط ما هي العلاقة بين العلة والمعلول. وكما اضرب المثل باستمرار، فاتصور انني في قرية في مصر او المغرب او تونس او ليبيا وأدخلت آلة حديثة جدا، تدخل من ناحية فيها برتقالا تخرج من ناحية اخرى معلبات عصير، تدخل من ناحية فيها بقرة تخرج من الناحية الاخرى معلبات لحوم مطحونة. تأكد انه بعد جيل او جلين، او ثلاثة اجيال في هذه القرية، بعد ان تتوقف الآلة ربما، او يصيبها عطب فني او انقطاع كهربائي، ستجد ان مجموعة فلاحين قد اقاموا فوقها قماشا اخضر والبسوه طربوشا وبنوا حوله سورا، وظلوا يذكرون عنه ان هذا هو الشيخ الآلة او الشيخ، لان تصوراتهم للعالم لم تتغير. هناك، ربط صوري بين العلة والمعلول. هناك

ظواهر طبيعية يمكن السيطرة عليها من خلال معرفة قوانين الطبيعة، فلا تحدث معجزة في العالم، لكن تصورات الناس للعالم مازالت تقوم على الاعجاز وعلى المعجزة، فلا يوجد ربط ضروري بين العلة والمعلول. **ومن ثم حولوا العلم الى اسطورة**، ونحن نتكلم الان عن العلم وعن التكنولوجيا كأنهما المخلّص، وكأننا نتكلم عن المهدي كمخلص، والحديث عن العلم والتكنولوجيا والحداثة باعتبارها مخلّصا، والحقيقة ان العلم والتكنولوجيا والحداثة ليست معجزة ولا إعجازاً ولكن كما اقول تراكم تاريخي طويل، بل مشروط بموقف الانسان من الطبيعة. ربما ليس خطأ الفكر الليبرالي عد الطهطاوي انه اعجب بالثورة الفرنسية وبروسو ومونتيسكيو وفولتير، وليس خطأ الطهطاوي هو انه تصور الدولة القومية في مصر واقامة دساتير، ولكن الخطأ خطؤنا نحن اننا لم نر ربما الاثار السلبية لليبرالية على قضية العدالة الاجتماعية، ومن ثم لم نزاوج بين قضية العدالة الاجتماعية والمساواة وبين قضية الحريات، ومن ثم نشأ الاقطاع من براثن الليبرالية . اقول اذن ان مشروع الاصلاح بتياراته الثلاثة في القرب 19، في أهدافه التي حددها، وفي الوسائل التي استعملت، اي في القرن كنمط للتحديث وفي النخبة كوسيلة للتحديث، مشروع جيد وحقق اهدافه، ولكن الخطأ خطؤنا نحن اننا لم نغير الاهداف طبقا للتغيرات التي حدثت في الواقع، فاكتفينا بتغيير الوسائل. فهي ليست كبوة النماذج الاصلاحية في القرن الماضي، بل كبوتنا وفشلنا نحن في أننا لم نغير ولم نطور تصورنا.

ث. ج. : اذا سمح الاستاذ حسن حنفي اقول الآن هناك امكانية تشخيص معطيات مشروع النهضة العربية ومشروع الحداثة من خلال ما آل اليه الوضع في بيروت. وما رأيناه قبل الغزو الاسرائيلي لبيروت وبعده هو ظهور نوع من النقد لمجمل الخطابات التي كانت تدعي الحقيقة في عدة مجالات، وفي مقدمتها الخطابات السياسية، والخطابات الايديولوجية، رغم ان هذا النقد لم يترسخ بعد، ولم يملك ادوته الواضحة. انا اعتقد ان القول بكون الجيل الرابع والجيل الخامس هو الذي يتحمل نتائج اخطائه هو نوع من تبرئة مشروع النهضة ككل، وباعتقادي ان المنطلق النهضوي والتحديثي في العالم العربي كله مطروح للتساؤل. (وهنا نعود لما طرح من قبل) ما هو هذا العامل المشترك، المؤدي للاخفاقات المتتالية ؟ الا يمكن ان نبحث عن العامل المشترك بين جميع انماط المشاريع النهوضية والتحديثية في العالم العربي والاسباب التي ادت الى هذا الفشل في نهاية التحليل ؟ الآن، نموذج بيروت هو تكثيف لهذه اللحظة الفاشلة وللاختيارات الفاشلة في العالم العربي، ومن ثم فان اعتبار الاجيال الاولى من مشروع النهضة قد اعطت تصورا صحيحا ومتقدما، وان الخطأ يكمن في الجيل الرابع والجيل الخامس، هو نوع من الفصل بين الاجيال، بينما هناك قضايا عديدة مشتركة. اذا ما قارنا بين الطهطاوي وبين احدث لحظة فكرية نعيشها في العالم العربي، نحس بان هناك خصائص مشتركة سواء في التصور للعالم او للممارسة الفكرية او للعلاقة بين الممارسة الفكرية والممارسة العملية، اذن، ربما كان مطروحا علينا في العالم العربي ان نذهب الى ابعد من تجزيء اللحظات

ونرى الى المجموعة، او بالاخرى، نقوم بالبحث في قوانين هي اكثر ترسخا سواء في وعينا او لاوعينا، في فكرنا او في ممارستنا بصفة عامة. فتبرئة جيل وتخطئة جيل آخر ليس هو التشخيص الكافي في الاقناع من حيث ارتباط المشاريع في الوصول الى هذا التكثيف الموجود في بيروت كما أن الوقوف عند «المجتمع التراثي» و «التغريب» ليس كافيا رغم الاضاءات الواردة في الحديث، والخصائص (أو العناصر) هي ما يطبع هذه المظاهر الأولية التي ما نزل نتوقف عندها.

ح . حنفي : سآخذ قضية ما حدث في بيروت، هو في حقيقة الامر ما حدث بعد الاتفاق وفرض السلام على مصر واخراجها، ثم فرض السلام على بيروت (وسوريا قادمة والاردن قادمة وعصر الهيمنة الاسرائلية قادم.) هذه هي الصورة التي نستعد كلنا من اجلها الآن، ربما كان عبد الناصر يخفي اعظم مما كان، بمعنى ربما كان الجدار الاخير، فبالرغم من هزيمة 67، الا انه قال لا مفاوضة، ولا صلح، ولا اعتراف، كان هذا يمثل نوعا من الصمود، لكن بالرغم من وجود حرب تشرين، استعمالها عسكريا، وسوء ادارتها سياسيا، كما يقال الآن في الصحف، ربما سنشاهد **عصر الهيمنة الاسرائلية القادمة، فما العمل ؟** ما هي الخريطة الحالية لنا نحن المثقفين الآن، ما هو دورنا ؟ ماهي امكانيات التحرك بالنسبة لنا ؟ ما هو رصيدنا كما وكيفاً، ما هي علاقاتنا بالسلطة وقدرتنا على التعبير عن مصالح الجماهير ؟ الخريطة كالآتي: هناك الحركة التقدمية العربية التي تضم فصائل عديدة بما فيها الليبراليون الآن، الذين كانوا ضحية الثورة العربية في اوائل الخمسينات، فأصبحوا جزءا من الحركة التقدمية العربية، بمناداتهم للحرية وبمناهضة الاستعمار، وبالغاء المعاهدات المكبلة للشعوب العربية. اقول ان الحركة التقدمية العربية هي التي حكمتنا في آخر جيل، والهزائم التي نراها حاليا (وانا هنا لا اوزع المسؤولية ولا أوزع الاخطاء ولكن هذا هو الواقع) هي بالفعل هزائمها، والحركة التقدمية العربية حاكمة في اكثر من نصف العالم العربي، قد تكون ولّدتْ، ومعها الحق، تيارا محافظا يرى ان للعلمانية والتقدمية والاشتراكية والقومية والليبرالية سلبياتها اكثر من ايجابياتها فلنجرب نوعا من العودة الى التراث، ومن العودة الى الدين والعودة الى الشريعة والعودة الى الحاكمية، دون ان نبقى في نفس الوقت في المحافظة الدينية، لأن المحافظة الدينية ايضا، تحكم في عديد من البلدان، وهي ايضا تشارك بنوع من المسؤولية في هذه الهزائم. هناك ايضا الخليط الثقافي، الآن هناك حركة تقدمية عربية علمانية ذات خصائل متعددة، وقد تقع كلها في نفس المسؤولية، وهناك رد فعل لمحافظة دينية تشتد يوما بعد يوم، ونسميها حركة اسلامية تشتد عندكم في المغرب، وشديدة في الجزائر وموجودة في مصر وتونس وفي الشام وفي العراق وفي الحجاز، وفي كل مكان. فاذن هناك جناحان ثقافيان سياسيان تاريخيان، موجودان في العالم العربي، الحركة التقدمية العلمانية والحركة الدينية او الصحوة الاسلامية الى آخر ما يقال حاليا في علوم السياسة وفي المنتديات العامة والمؤتمرات الدولية. الى اي حد كل حركة تمثل الجماهير العربية كاحد الادوات الرئيسية من ادواتنا اثناء النصف الثاني من القرن العشرين لم تكن

موجودة في القرن الماضي ؟ كان حلم الافغاني تكوين صالونات ايضا، وكان حلمه ربما تجنيد الجماهير ولكنه لم يعش ليرى عدم تحقق هذا الحلم. اقول، اذن، ان الجماهير بوجه عام ما زالت خارجة عن اطار هذين الاختيارين. مثلا، لنفرض ان هناك انتخابات نزيهة في العالم العربي، وان هذين الجناحين هما اللذان تقدما : الحركة التقدمية العربية والحركة الدينية، من الذي يكسب ؟ انا في رأيي هذان الاختياران لايعبران حقيقة عن مصالح الامة العربية. فلنأخذ الحركة العلمانية : الحركة العلمانية ينقصها، ربما ما يسمى بشرعية الحكم، شرعية السلطة، باي شيء تحكم ؟ لم تنشأ لدينا نظرية في العقل والاجتماع حتى يمكن ان تفسر نشأة السلطة كما حدث في الغرب والتي من اجلها يحكم الغرب باسم التعددية والليبرالية والديمقراطية. الذي يحكم عندنا اما نظم عسكرية او نظم وراثية ايمانية، والمثقفون مضطرون ليتعاونوا اما مع هذا او مع ذاك. كذلك الجماهير غير مستعدة لتضع قلبها مع الحركة الدينية الاسلامية لأنها محافظة، لأنها متعاونة ربما مع النظم الرجعية. فماذا تفعل ؟ فعلى الاقل مع النظم الرجعية تجد هذه الحركة اشتراكا في العبادات وفي الصور وفي الاشكال وفي المظاهر، (وفي تأثير الحركة التقدمية العلمانية)، فهناك نوع من الوئام وبالتالي فهي التي تغذيها، وربما الاستعمار يعلم محدودية هذه الحركة فيغذيها ايضا، لكن الجماهير بوعيها الطبيعي غير مستعدة، كما قلت، ان تُصوِّتَ في حركة انتخابية نزيهة بقلبها وقالبها مع الحركة الاسلامية او الدينية... الخ. فماذا نفعل ؟ انا في رأيي، هذا هو التحدي الحقيقي، لأنه لا يوجد اختيار امام الجماهير. اتقدم بالآتي : انا غير مستعد على الاطلاق ان اضحي بمصالح الجماهير العربية، والّا لما كنتُ مثقفا، ولما كنت سياسيا، ماهي مصالح الامة العربية وما هيَ مصالح الجماهير الآن، **هذا ما نتفق عليه في برنامج قومي موحد بصرف النظر عن المداخل النظرية والاطر النظرية**. مصالح الامة العربية وتحدياتها الاساسية في **تحرير الارض**، وانا غير مستعد على الاطلاق ان اتنازل عن قضية تحرير الاراضي العربية في سبيل وهم او خداع او تاجيل، الذي يريد ان يجاهد لتحرير الارض باسم الله، باسم الامة، باسم العروبة، فليتفق معي في هذا الاطار على مشروع قومي عربي موحد : قضايا تحرير الارض، قضايا العدالة الاجتماعية والمساواة، قضايا الفقر والغنى. نحن مجتمع يضرب به المثل في اقصى درجات الفقر وقضايا الحرية والقهر، ولهذا فإن اي انسان يتسلط علي، او يقبر تيارا آخر، او فردا آخر، او مذهبا آخر، يقبره اليوم سيقبرني غدا. وبالتالي فإن الدفاع عن قضية الحرية للجميع، الدفاع عن قضايا وحدة الامة، وان الاستعمار يفرض مشروعه علينا هو **التجزئة والطائفية والحروب الاهلية**، فهو يعلم انه في الوقت الذي ستتوحد فيه هذه المنطقة سيصعب استئصالها، وان المشروع هو وجود الصهيونية كحركة بديلة في هذه المنطقة بدلا من القومية العربية او الاسلامية او غيرها. القضية هي تجنيد الجماهير، وفي الوقت الذي تنزل فيه الجماهير الى الساحة تنقلب الموازين. كان مع الشاه الجيش والبوليس والمخابرات وامريكا ولكن مجرد نزول الملايين في الشوارع لمدة ستة اشهر في طهران انقلبت الموازين وانهار الشاه، ولم تستطع امريكا ان تفعل شيئا. وهذا ما

لم يحدث حتى الآن في العالم العربي. حاول النظام في مصر ان يجد احلافا اخرى في غير الشعب، فوجدها في اسرائيل وامريكا، والسلام مع اسرائيل في سنة 78. لكن كان ذلك بالفعل اشارة إلى ان الجسور مع الشعب، ومع الجياع، ومع الملايين قد انقطعت، وانه لا بديل الا وجود احلاف خارجية اخرى. اقول اذن، هناك قضايا تحرير الارض، قضايا المساواة والعدالة الاجتماعية، قضايا القهر والحرية، قضايا تجنيد الجماهير وكيف انها تنزل الى الساحة. اقول اذن، ان الاتفاق على مشروع قومي واحد ضروري تتفق عليه كل الفصائل في الحركة التقدمية وبصرف النظر عن اختلاف الاطر النظرية، مادية، مثالية، دينية، قومية. وانا غير مستعد ايضا ان اقوم بذلك، ولو مؤقتا، باسم العلمانية فقط، وَإلّا قطعت جذوري مع الجماهير، فلن يفهم العلمانية الا المثقفون، لن يفهم تحليل العقل تحليل الواقع الا النخبة. وفي نفس الوقت، لما كانت الحركة الدينية، أي الجناح الآخر للأمة العربية مازال يستعمل قال الله وقال الرسول، ومازال يستعمل الحاكمية، ونظرا لغياب نظريات اخرى، في العقل والاجتماع، نستطيع ان نقف امام الحاكمية، لان قوة الحاكمية هي ان الحكم لله، هذه نظرية يؤمن بها كل الناس، موجودة نصا في الوحي، لا حكمَ إلّا لله، وتعتمد عليها الحركة الدينية لكي تقوض النظم الحاكمة ومن ثم فهي واقع. فانا غير مستعد ان اقول : الحاكمية ليست لله، ولكن لصالح من ؟ او لو طبقت حكم الشريعة، فماذا أفعل ؟ هل يكون همي الاول هو رمي الحجارة على اوجه الناس ؟ قطع يد السارق، الذهاب الى نوادي القمار وقلبها والى البارات وكسرها ؟ هل هذا هو حكم الشريعة ؟ مع ان حكم الشريعة هو تحرير الارض، « قل للذين يقاتلون... » « الذين اخرجوا من ديارهم » « واعدوا لهم ما استطعتم... »، هو توحيد الامة « امتكم امة واحدة » «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا »، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وان لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، « ان اسأت فاعينوني وان اسات فقوموني فلا طاعة لي عليكم » ام في الحفاظ على الهوية، وقد رددت على ذلك في دراستي «من الوعي الفردي الى الوعي الاجتماعي» ضد الحركة المثالية هناك الحركة الماركسية التي ترى انه بالرغم من اهمية هيجل الا انه قد طور في ماركس، وماركس قام بمساهمة فعلية في حركة التقدم وغيّر الانظمة في الغرب وفي الشرق، ومن ثم فالماركسية هي سبيل التغيير. والبعض يرى ان الوجودية والانسانية، والوجودية في الفكر الغربي، ربما هما المخرج من ازمة تحرر الانسان في المجتمعات العربية، ربما يرى البعض ان الظاهراتية، مثل ادونيس وغيره، قد تكون المخرج لفهم الظواهر الحية في الشعر وفي السياسة وفي الاقتصاد والصلة بين الثابت والمتحول او بين الماهية والواقع. اقول : هذا اسميه **التجديد** بمعنى انك جئتَ بمذهب غربي ثم لم تشأ الانفصال عن التراث فقرأت التراث بالمنظور الغربي واولته لحسابك ولديك نية خالصة هي الارتباط بالتراث، ولكن ينتهي الى انك أوّلْتَ التراث الى ما هو غير التراث. والذي يعجب مثلا بالوضعية باعتبارها انها تحليل دقيق لاستعمال اللغة، ربما لا يتطلب منه الأمر ان يكون وضعيا، فمناهج الاصوليين في تحليل اللغة وفي وضع منطق للغة، في الحقيقة والمجاز والمحكم والمتشابه والمقيد

والمستثنى والمطلق والمحمل والمبين، ربما هذه الاشياء لن تحتاج ان تُسَمّى وضعية، يعني أنه من خلال تحليل الاصوليين لمنطق الالفاظ يمكن إحكام الخطاب العربي المعاصر. الذي اسميه التجديد من الداخل هو اعتبار التراث كمدخل مسبق، وقراءة هذا التراث من زاوية واقع مصلحة الامة حاليا (فاذا كانت مشكلتي هي سوء استعمال الخطاب، فعلى الاقل في دراسة اللغويين والاصوليين استطعت ان اجد احكاما، او لسوء الاستعمال منطقاً من الداخل، منطق الفاظ استطيع ان اضمن به كيف استعمل الخطاب المعاصر. انا لم اختر الوضعية المنطقية اختيارا مسبقا ولكن قرأت حاجة ملحة في واقعي) أمّا قضايا العدالة الاجتماعية والمساواة، بالحس وبالمشاهدة وبالتجربة، ارى، وأنا اعاصر هذا التفاوت الطبقي الشنيع بين الفقراء والاغنياء دون اختيار نظري مسبق، بان الماركسية هي الحل او الاشتراكية هي الحل او الطوباوية هي الحل ولكني اقرأ هذه الحاجة في التراث، في الاصول، في القرآن وفي السنة وفي كتابات الفرق وفي العقائد وفي النظم الاسلامية، ثم **اعطي هذه الحاجة كمضمون من خلاله استطيع ان افسر**، فاذا وجدت اشياء في التراث تقول بالتفاوت الطبقي مثل، « وجعلنا بعضكم فوق بعض درجات... » أقاومها واعيد تاويلها، وابرز الاشياء الاخرى واصنعها كاطار نظري.

ث. ج : ليس هناك فصل بين الاشكال الواقعي المجتمعي ــ التاريخي ــ الحضاري وبين الاشكال الثقافي، نحن الآن عندما نطرح بعض مشاكل الواقع العربي الراهن، وقد تحدث الاخ بنيس وتحدثتم عن تكثيف هذا الواقع، وما وقع في بيروت بصفة خاصة، نتحدث فيه دائما برؤية، لايمكننا ان ننفصل عن رؤية وعن تحليل خاص لهذه القضية، لذلك اسمح لنفسي بالانتقال بالحديث الى ان اسألكم، حول دعوتكم التي اعرف عنها قليلا، واريد مزيدا من توضيحها، عن التعامل مع التراث من الداخل، كيف يمكن للواقع العربي الراهن ان يتعامل مع التراث من الداخل ؟ علما بان التراث ليس واحدا، فهناك في التراث تيارات مختلفة، وهذه التيارات المختلفة كانت تعكس مشاريع وطموحات مختلفة للمجتمع العربي الاسلامي منذ القديم، علما بأن التاريخ الفعلي الذي تحقق للعالم العربي الاسلامي قد اعطى الغلبة لاحدى هذه الاتجاهات في التراث على ما عداها.

نرجع الى التراث، هل نريد ان نحيي المعتزلة الذين اذ خضعوا لنوع من الابعاد ومن الاقصاء، ومن القمع لمدى زمن طويل، مثلوا في الفكر العربي وفي الواقع العربي نوعا من الخلط بين القمع الاجتماعي والسياسي لفئة مناهضة، وبين قمع العقلانية على الصعيد الفكري اذن نقول بشيئين : نقد التراث النظري وفي نفس الوقت التعامل مع الواقع من داخل تراثه، اي من هذا الشيء الذي يحمله منذ الف سنة. فكيف يمكن ان نستفيد من التراث في تحريك وتغيير الواقع الراهن من داخل هذا التراث ما هو التراث ؟

ح. حنفي : تعبير « التراث من الداخل » هو تعبير يقابل « التراث من الخارج »، تجديد التراث من الخارج، لاننا نجد الآن، بصرف النظر عن المواقف من التراث ككل، من يرى فيه المدخل الحقيقي والمدخل الجاد هذه المرة في حل ازمة التغيير الاجتماعي، ومن يرى فيه انه قضية مؤقتة نظرا لأننا مجتمعات تراثية، ولكن بالتصنيع وبالتقدم وبالعقلانية، اي بمزيد من العلمانية تنتهي هذه القضية، فهي قضية فقط في مجتمعات ما زالت قلقة في معارك التخلف والتقدم. لكن بصرف النظر عن هذين الموقفين الكليين من التراث الذي يبدأ بمعالجة هذه القضية واعتبارها مدخلا جادا لحل قضايا التقدم والتخلف وقضايا التغيير الاجتماعي، فاننا نجد فيه نوعين : الاول الذي يظن، بناءً على اعجاب شخصي او على مشاهدة فعلية في الحركة التقدمية العلمانية الغربية، ان الوضعية او الوجودية او الهيجلية او الماركسية او المثالية او الشخصانية او الظاهراتية، قدمت نجاحا ملحوظا في الغرب، فبناءً على المثالية قام الغرب بالعقلانية الاوربية وبديكارت وبكانط وهيجل ثم رد فعل الماركسية عليه، هذا ما يمثله عثمان امين في تاويله لكل التراث الفلسفي الصوفي، ولا يتحدث عن كانط او ديكارت، اي المثالية في الواقع. آخذ الحاكمية وأفسرها في اطار المشروع القومي، وليس في اطار التراث والمحافظة كما فعل الاستعمار والنظم الرجعية. هكذا أُوحِّدُ الشخصية القومية، أُوحِّدُ الجناحين الرئيسيين واقضي على الازدواجية في حياتنا المعاصرة، وفي نفس الوقت اعطي الجميع الحق في اختلاف الاطر النظرية واحياء التعددية وانهاء ما يسمى بحديث الفرقة الناجية، وانه هناك فرقة وحدها هي الناجية، وكل اجتهادات الأمة هي الكافرة. ومن ثم هذا الذي إسميه الاختيار الثالث. لا اتنازل قيد انملة عن المشروع القومي العربي، ولا اتنازل قيد انملة عن تاريخ الامة وثقافتها وروحها ونصوصها ودينها وتراثها، ومن ثم اقوم بمهمة التفسير والتاويل، وبالتالي احقق واعطي اختيار ثالثا للجماهير العربية في هذا الوقت، ثم اعتبار ان الثقافة ليست مجرد كتابة كُتُب اكاديمية وعلمية، ولكن النزول الى الجماهير، والنزول الى منتدياتها، وتكوين جرائد، ثم لا داعي للعمل السري، انا لا اسرق، انا ادعو، ومن ثم الدين النصيحة، وانا لست كافرا ولست عميلا ولا خائنا، ومن ثم فان هذا الاختيار الثالث للجماهير، في رأيي، هو التحدي الحقيقي، ربما نضعه في اطار رؤية تاريخية للإصلاح في القرن الماضي واطوره الى نهضة والى رؤية تاريخية شاملة في النقد وفي العقل وفي التحليل وفي تجنيد الجماهير، حتى يتم بعد ذلك للاجيال القادمة ان اعطيها شروط الثورة.

لقد قام الاصلاح بدوره في القرن الماضي، خطئي انني لم اطوره الى حركة نهضوية شاملة، اي انقلاب في نظرية المعرفة من النصوص الى الواقع «احتمى ابوك بالنصوص فدخل النصوص» هذا ما قاله محمود درويش، اي الانتقال من النص الى الواقع، من السلطة الى العقل. اقول انني مع نقد القديم، مع المشروع القومي، مع ايقاف التغريب، مع تجنيد الجماهير والالتحام بقضايا الواقع في اطار من الوحدة الوطنية، وآن الاوان لننتقل من الفرقة المذهبية او حديث ذكر الفرق الى وحدة وطنية في اطار مشروع قومي عام، مع تجنيد

الجماهير، مع عدم التخلي عن روحها وثقافتها الوطنية كوسائل، وكحوامل للمشروع القومي؛ والا اتى الاستعمار واتت الرجعية ونزعت مني السلاح. انا اقوم بعملية نزع السلاح، وفي نفس الوقت احمي العلمانية من محاصرتها وجعلها فكر النخبة وتفكيرها واتهامها بانها عَمِلَيَّةٌ مرة للغرب ومرة للشرق، وبالتالي اربط العلمانية بالتراث القومي، واربط التراث القومي بالمشروع القومي، وفي هذه اللحظة فقط استطيع ان اقدم للجماهير، للاغلبية الصامتة بديلا ثالثا.

لكن ربما نحن الآن على مشارف عصر يشبه عصر النهضة في القرن 16 الغربي الاوربي الذي بدأ فيه تحول في نظرية المعرفة وفي نظرية صورة الانسان وموقف الانسان من الطبيعة، وصورة النفس بالبدن، أي الانتقال من الاصلاح الى النهضة، من التعامل مع إصلاح العقائد وإصلاح الخلق وإصلاح التعليم وإصلاح اللغة، الى نهضة اجتماعية شاملة، ترد الاعتبار للانسان وللطبيعة، للبدن وللعلم وللقانون. أقول إذن : إن ديكارت وكانط وهيجل لم ينشأوا إلا بعد أن عُرِّيَ الواقع من كل غطاء نظري، أي غطاء أرسطو وبطليموس والعصور الوسطى الذي كان يحدث اتفاقا معرفيا بين الانسان والطبيعة، وبالتالي لا حيلة لنا إلا المشاهدة والتجربة والحس والطبيعة والقانون، وبالتالي يصبح الواقع عاريا من أي غطاء نظري. أتى الانسان في عصر النهضة بجهده وبعقليته ليعطي البديل، فكانت هناك مذاهب فلسفية كبديل للانظمة النظرية القديمة التي تم تكسيرها. ونحن لسنا، في هذا الوضع. بالنسبة لنا ما يزال هناك وفاق بيننا وبين الطبيعة، الطبيعة لها خالق، وأنا مخلوق، ولها بداية ونهاية. ولا يوجد شرخ في نظرية المعرفة بيني وبين الطبيعة، فلماذا أعطي مذهبا فلسفيا والواقع لم يتعر بعدُ ؟ أقول إذن هذه مغالطة أو تعذيب للذات. إنني حتى الآن لم ابدع ديكارت، ولا كانط، ولا هيجل، ولا ماركس، لان الواقع عندنا ما يزال مغطى : أي أن الله موجود والعالم مخلوق والنفس باقية. وهذا الغطاء العام يمنع، لا أقول خطأ أو صواب، يعني لا يعطي حاجة لأن أقدم بديلا نظريا يغطي البديل القديم، لكن لا يعني أنه لا تنشأ ثقافة نهضوية.

في الوقت الذي يتعرى فيه الواقع النظري تنشأ ثقافة. الثقافة لم تنشأ إلا في محاور ثلاثة : ـــ نقد للموروث القديم وهو الذي أسميه الموقف من التراث. ثم نقد للموروث الغربي. كان في عصر النهضة غربيًا، أي الرشدية اللاتينية، فقام الغربيون بتكسيرها. هذه كانت سلطة، وسلطة قاهرة، كانت في القرن 13 و 14 و 15 في الغرب تقدمية بالنسبة للتصورات الأسطورية التي كانت سائدة. لكن بعد أن اسْتُنْفِذَتْ الرشدية اللاتينية، بدأ الغربيون تكسيرها في عصر النهضة، ومن ثم عملوا على ايجاد البديل للرشدية اللاتينية، فكان هناك الغرب، وهو نحن، أي الاخر. كنا الاخر بالنسبة للغرب، فبدأوا بتكسير الاخر حتى يمكن اكتشاف الواقع العلمي. ـــ من يحاول نقد الموروث والتحرر منه ومن حجة السلطة l'argument d'autorité من أجل الدفاع عن حجة العقل l'argument de la raison أو حجة الواقع l'argument de la réalité يكون مثقفًا. الابداع هنا، موقف، نقد الموروث، وليس إيجادا

لنظرية أو مذهب، فالابداع في أخذ موقف من الاخر، أي أن تتحرر من سلطة الاخر، أن تتحرر أولا من سلطة الادب القديم، ثم تتحرر من سلطة الاخر، كما تحرر عصر النهضة الاوربية من الرشدية اللاتينية. والاخر بالنسبة لنا هو الغرب. هنا نتبادل الموقف. أن أنقل عن القديم أو أنقل عن الحديث، فكلاهما عقلية نقلية، أن أقول : قال الله وقال الرسول وقال ابن تيمة... كما تفعل السلفية المعاصرة، هو بمرتبة أن أقول : قال سان سيمون، وقال ماركس وقال جان استيوارت ميل، هي نفس العقلية التي ترى أن التقدم بالقول وبالنقل. مرة تحديت طالبا أن يتكلم ويصوغ عبارة لا تبدأ بـ « قال » فوقف دقيقة وهو غير قادر على أن يصوغ هذه العبارة، لأنه لا يعرف المبتدأ ولا الخبر. هنا التحدي الحقيقي. هل انت قادر على تركيب جملة اسمية لها مبتدأ وخبر، أو جملة فعلية لها فعل وفاعل ؟ الى هذا الحد تصل الثقافة في التوقف.

لكن التحدي الاعظم هو هل نحن قادرون على التنظير المباشر للواقع ؟ أي على الحصول على أكبر أداة من أدوات التحليل لايجاد نظرية مباشرة عن الواقع، أي لإنشاء تراث. يعني أن المرحلة التالية ليست فقط أخذ موقف من التراث الغربي أو من التراث القديم بل إنشاء تراث، كما أنشأ القدماء تراثا، وهذا هو المحور الثالث.

ث. ج. ــ نحاول الدخول الى النقاش من خلال مثال، إذا كنت سأنطلق من مثال ملموس في حديثكم، هو تجربة حركة سياسية معينة، وسبب اخفاقها الذي ترده عمليا الى موقف الجماهير والى تخلف وعيها، في حين يمكننا أن نقدم فروضا اخرى من جهة أن الوعي الذي يقدم لها من طرف تلك الحركة هو وعي من وجهة نظر معينة زائف، هذا سبب، وسبب آخر هو شروط القمع، أي موقف السلطة، عندئذ فليس وعي الجماهير هو المتخلف والمتشبث بالتراث، بل إن ما يقدم لها ليس مما يمكن نعته بالتقدمي حقا، ولا يمكن أن تنتظر منه تغييرا حقيقيا لاوضاعها، ثم إن الحيلولة بينهما وبين اكتساب الوعي المتقدم قائمة من طرف السلطة. في هذا المدخل أقول : إن خلاصة تشخيصكم للوضع الراهن هي أن الازمة توجد في الوعي وأن الازمة ثقافية، في حين أن هناك من يعتبر أن الازمة توجد في العلاقات، علاقات الناس وأوضاعهم المادية، وبالتالي الازمة توجد في طبيعة الحكم، طبيعة السلطة السياسية ومن ثم فإن المطروح ليس هو النهضة أو التنوير، وإنما هو الثورة والتغيير، ويرتبط بذلك أنكم عندما تشخصون أزمة الوعي، فتردون أزمة الوعي الى استمرار نمط من التراث في الوعي، في الحاضر، في حين هنالك من يرى بان الوعي في الحاضر هو انعكاس للواقع المادي في الحاضر وليس استمرارا للماضي، وأن عناصر التشابه في الصيغة وفي الصورة بين الوعي في الحاضر والوعي في الماضي، لا يجوز أن توحي لنا بأن هناك عناصر تشابه في المضمون، إذ أن دلالة الافكار لا توجد في صورها ولكن في وضعيتها المختلفة، دلالتها المختلفة. إذن، التشابه الصوري لا يجوز أن يكون دليلا على التشابه في المضمون. هكذا نقع في مشكل آخر وهو : ما هو جذر الانسان ؟

أعتقد أن من احتقار الانسان أن نختصره في التراث. ذلك أن الانسان، كيفما كان، قادر على أن يصنع من نفسه ما يريد، وبالتالي أن يتجاوز، ليس فقط، ما خلفه له الاجداد من تراث، بل وأن يتجاوز شروط التاريخ الواقعي، أي شروط معاشه نفسها.

ح. حنفي : هذه الاسئلة في الصميم، أرجو أن أستطيع الاجابة عليها بمثل هذا الوضوح. إن وعي الجماهير ليس هو المزيف، لو تركت الجماهير لحالها لأفرزت طليعتها ولاستطاعت أن تأخذ حقوقها بيدها.

أنا أحيانا أتكلم مع البسطاء وأتعلم منهم، وأنزل الى قرى مصر لإتعلم من الفلاحين. أعطي مثلا : ونحن في مؤتمر الاسكندرية في أغسطس 1966 كنا نناقش عبد الناصر في الاوضاع العامة للبلاد، كنا ممثلين عن مدرسين في فرنسا آنذاك، وكان هناك ماسح أحذية يأتي لمسح الاحذية للطلاب، سألته : ما رأيك في الاشتراكية، فقال : يا أستاذ الاشتراكية للناس اللي فوق. وهذا واقع الاشتراكية كما كانت في مصر، لأنه لم يتغير نظامنا نحو الاشتراكية، ولكن تغير الذين كانوا يأخذون المرتبات والآلاف الجنيهات باسم الاشتراكية، والاتحاد الاشتراكي. على أية حال، أقول : ليس وعي الجماهير هو المزيف ولكن حتى الآن ربما الخلاف بيننا وبين السلطة ما زال يصاغ في قضية الصراع مع السلطة، وإننا نريد أن نكون بديلا للانظمة القائمة. إن الصراع بيننا وبين السلطة ليس معارك التقدم والتخلف، ولكن هو صراع على السلطة. لذلك أنا أترك قضية السلطة، فليحكم من يشاء، وما أكثر الحكام، ولكن الذي يغير الواقع قيد انملة هو الذي يحكم بالفعل، الذي يدخل في قلب الجماهير هو الذي يحكم بالفعل. إن الذي يحكم بالشرع وبما قال الله والرسول والله أكبر والذي تستعمله السلطة القائمة كوسيلة للتحكم فينا، بل قد تتحمل السلطةُ حزبًا ثوريًا ماركسيًا الى أقصى درجة، وتقبل به، وتدعمه وتُعيِّنُ له رئيسا يصاهر الحاكم أحيانا، وقد تقبل السلطة أيضا بكل علماء القرويين، والازهر، والزيتونة، وتمد لهم الأوسمة والعمامات، ولكنها لن تقبل عالما من علماء الدين يخدم مصلحة الجماهير. لن يسمح النظام أن يكون هناك دين ثوري، أن تكون هناك حركة تقدمية إسلامية. حركة تقدمية، نعم، لكن علمانية، وحركة إسلامية فلا، فقط محافظة، ولكن وجود حركة تقدمية إسلامية فهذا لن يسمح به، **لأن هذا هو البديل الوحيد.** أقول إذن أن الجواب على سؤالك الأول في قضية وعي الجماهير والسلطة نؤجله وليحكم من يشاء. فليحكم الماركسيون، أو الليراليون، أو الناصريون أو المحافظة الدينية، **ولكن الحكم الحقيقي هو لمن يطوع الجماهير، لمن يبلور وعيها، لمن هو قادر على إعطائها ما يسمى بنظرية أو بإيديولوجية، حتى تستطيع أن تمدها بتصورات للعالم وبموجهات للسلوك،** وبالتالي، فالتحدي الحقيقي لنا هو السلطة. هل السلطة هي من لديه البوليس والجيش وأجهزة الامن ووسائل الاعلام، أم أن السلطة هي من يحرك الجماهير ويجندها ويحزبها، أي ما يسمى بثقافة الجماهير la culture des masses ؟ وهنا، أنا أدخل، كيف أستطيع أن أعطي هذه الجماهير،

أن أسيطر عليها وأن أكون كالسمكة في الماء معها، بالرغم من وجود أجهزة الاعلام والقمع. في المستقبل القريب، بعد بيروت، ربما يتفجر الغضب في قلوب الجماهير العربية من حيث لا نشاء. أنا كنت أفكر البارحة في الآتي : قد تكون هزائمنا في بيروت، والاستسلام في مصر وسوريا والاردن، مقدمة فيما بعد لثورات أخرى، ليس على نمط الانقلابات العسكرية، ومن ثم هذا هو التحدي الحقيقي للمثقفين العرب أي الاستعداد لثورة قادمة.

ـــ فيما يتعلق بقضية التغيير عن طريق الفكر والواقع والوعي، أقول : وعيي أنا ليس هو الوعي الفردي بل هو الوعي الاجتماعي السياسي مضافا إليه الوعي التاريخي. وهذا هو الذي أقول إنه مساهمتي في الحركة التقدمية العربية. إذا كنا نفهم الماركسية جيدا، فأهم دروس في الماركسية ليس هو التحليل الاجتماعي وليس في تحليل الابنية التحتية، **ولكن أهم شيء في الماركسية هو الوعي التاريخي**. أنا ماركسي ولكني ماركسي شاب، معنى ذلك أنني مازلت أعرف أن الانتقال من هيجل الى فيورباخ والانتقال من فيورباخ الى ماركس هي النقلة الحقيقية لمجتمعنا. الهيجلية أي المثالية، أي المحافظة الدينية، عندنا، تتحول الى مثالية مطلقة وهذا هو ما حاوله جمال الدين الافغاني ومحمد عبده، أي الانتقال من الدين الى الانسانية والوعي الفردي. هذا انتقال طبيعي، وهذا ما فعله عثمان أمين والطهطاوي ولطفي السيد والعقاد وطه حسين، أي من الدين الى المثالية. لكن أين الانتقال من المثالية الى العالم الحسي كما فعل فيورباخ ؟ لم يحدث لدينا هذا حتى الآن، وأين الانتقال من فيورباخ، الذي تعامل مع الافكار من أجل اكتشاف الواقع ودراسة الاغتراب والتشيؤ الى آخر هذه الاشياء للدراسة، من نقد الشعر الى دراسة الهياكل والابنية الاقتصادية الاجتماعية والسياسية ؟ هذا لم يحصل بعد، وأقول إذن، نخطيء عندما نضع ماركس المناضل قبل ماركس الشاعر، نخطيء عندما ننتقد الايديولوجية الالمانية قبل أن نؤسس الايديولوجية. ـــ نحن ننقد كل شيء، ـــ نحن ننقد الافكار، أفكار العالم المقدسة، الايديولوجية الألمانية، ونهضة ألمانيا وأفكار الوحدة والقومية وهذه الاشياء التي كانت تحرك الجماهير الالمانية. ونحن ننقد ثورة 48، قبل أن تحدث لدينا ثورة 48، أي التفكير عن طريق الافكار. أقول إذن بالرغم من إنني على وعي تام بمحدودية الانسان والوعي الفردي، والانتقال بذلك من الوعي الفردي الى الوعي الاجتماعي، إلا أنني ما زلت أرى أن الوعي السياسي والاجتماعي يكون ضيق الافق، قصير النظر إن لم نربطه بالوعي التاريخي. وهذا الذي أرجو من الحركة التقدمية العربية أن تعيه، **أن تدخل الوعي التاريخي كرصيد حقيقي للتحليل السياسي**، ربما لن نرى الثورة الاشتراكية والمجتمع الاشتراكي الثوري، وربما لن نرى تحرير فلسطين، ولكن على الاقل فلنمهد له ولنضع له شروطاً، وقواعد. تأسيس إسرائيل في 48 كان رؤية، والصهيونية تعمل بهذا الوعي التاريخي منذ أواسط القرن الماضي للصهيونية السياسية عند هرتزل 1887، الى وعد بلفور في 17، الى محاولات الهجرة الاولى. من ثورة 36 الى 48 الى 67 الى 73 الى 78 الى 83. أقول إذن، الوعي التاريخي قد يكون القوة الحقيقية في الصهيونية. وما الصهيونية السياسية إلا ظاهرة. أما الشعار الاسرائيلي

الحقيقي فقد تجلى عندما كان يقابل يهودي يهوديا اخر في الغرب ويقول له : سنتقابل في العام القادم في أورشليم، أي الإعداد للمستقبل. أقول إذن، إن الوعي التاريخي لا يقل أهمية عن الوعي السياسي، وكلاهما تصوير للوعي الفردي. أنا لا زلت أتكلم في الوعي، لأنني أريد أن أطور المثالية الى وعي اجتماعي وأتعامل مع الحركة التقدمية العربية، لأني أريد أن أطورها وأعطيها رؤية تاريخية أي **أن أزاوج في وعينا بين الوعي السياسي والوعي التاريخي**. أقول إذن، أنا على وعي تام باهمية هذا الصراع بين البنية الفوقية والبنية التحتية، ولكن نظرا لأنني من مجتمع تراثي، ونظراً لأنني خارج من اصلاح مثالي لأطوره الى إصلاح اجتماعي، ونظرا لأنني ما زلت أمثل الحركة العلمانية العربية بالأفكار الرئيسية بما فيها الماركسية، فإني أطرح أوليات وأسبقيات.

ث. ج. : يمكن القول بأن الوصول الى ثقافة الجماهير هو فقط عودة بلغة أكثر تقدما لهذه المرحلة السابقة التي هي حتى الآن قابلة للنقاش، وليس باعتبارها مسلمة من مسلمات النهضة العربية الحديثة، هنا نحدد هذا السؤال، كيف يمكن أن نتقدم في شروط لم تساير الفكر النهضوي ولم تجعل منه فكرا قابلا للاستمرار في الواقع ؟

ح. حنفي : في حقيقة الأمر أن كل جيل يصوغ مشروعه طبقا لتصوراته وطبقا لظروف عصره، قراءة القدماء وقراءة التجارب السابقة مهمة، لكن بالنسبة لي أنا أعطي أداة جديدة للتحليل وهي التي أسميها أحيانا أداة مزدوجة، الاولى : التعرف على المكونات الثقافية للجماهير، لأن ثقافة الجماهير العامية وتراثها هو الذي يقوم بالبديل الحالي لمحو الأمية.

ولكن في الثقافة، ما هو التحول الذي يمكن أن أحدثه أنا في ثقافة الجماهير حتى أحولها، الى ثقافة ثورية تستطيع أن تكون البديل للايديولوجية السائدة، وفي نفس الوقت البديل عن الأمية الى أن تمّحيَ كل الوسائل في القراءة والكتابة والتعلم. وثقافة الجماهير قد تكون أيضا بديلا لمحو أمية المثقفين الذين حصلوا على الدكتوراة في العلوم السياسية وغيرها. الأمية هي واحدة، إما أمية القراءة والكتابة أو أمية الحاصلين على الدكتوراة في العلوم السياسية والاقتصادية والقانونية، أنا أعطي البديل الاتي وهو التنظير المباشر للواقع، أعني المشروع القديم لعصر النهضة، الأفغاني رأى أحوال الأمة وصاغ مشروعا (بصرف النظر عن الصياغات المتعددة لهذا المشروع من الأفغاني الى محمد عبده الى رشيد رضا الى الاخوان). أنا أبدأ من واقع فيه بعض الايجابيات وفيه بعض الثغرات، وعندي وسائل أكثر للتحليل من الأفغاني، فالافغاني شيخ خطيب، وأنا عالم محلل، ولكن قدراتي على الصياغة قد تكون أكثر إحكاما، وأكثر منطقية. فالتنظير المباشر للواقع هو الذي يعطيني أولا الجرأة على القدماء والجرأة على التجديد والثقة في الابداع وفي نفس الوقت أعطي وسائل كبيرة للتحليل. بل أنا قادر، لكن هذا مطروح على العلوم السياسية والاجتماعية، مثلا : في قضايا العدالة الاجتماعية والمساواة،

أتمس قضية الدخل القومي وتوزيع الدخل القومي، كيف يتم توزيع الدخل القومي، كعالم اقتصادي تماما، ما هي خريطة توزيع الدخل القومي. وأنا جالس في مقهى بمراكش سألت بعض الاخوة التقدميين، ما القضية بالنسبة لكم ؟ قالوا : الحرية، وقلت ما القضية بالنسبة للناس فقالوا : الفقر. في رأيي تفشل الحركة السياسية حين تكون قضيتك أنت مخالفة لقضية الجماهير. أنا هنا أعيد المشروع السياسي ومنها قضية الفقر. هذه القضية لم أجد حتى الآن دراسة في توزيع الدخل القومي في المغرب، وأرى بعيني رأسي السقوف المزركشة في البلاط العربي الذي تصرف فيه الملايين والملايين، وأرى بباب فاس الفقراء وأرى الشحاذين، والذين يجوعون، والذين لا يأكلون.

لو كنت زعيم حزب سياسي لجعلت من قضية توزيع العدالة الاجتماعية ليس كنظرية سياسية في الاشتراكية، بل كواقع عيني حسي. أقوم بدراسة اقتصادية علمية في المغرب، وعليه أقيم تحليلي السياسي. كذلك ما هو الرافد الاساسي للثقافة في المغرب، من يحركه ؟ الناس، وأنا أفكر في ذلك ليل نهار، ما هو الرافد الاساسي، وربما الامر يختلف في المشرق، لكن هنا، ما هو الرافد الاساسي للوضع الثقافي في المغرب ؟ الاسلام ؟ الوثنية ؟ بقايا الاستعمار الفرنسي ؟ نجد الاسلام أحيانا يترك مكانه للوثنية المغربية، قبل الاسلام. الوثنية ليست اتهاما، أي الاعراف القبلية. هذا تحدٍّ حقيقي للعمل السياسي. حتى تستطيع أن تسيطر على الجماهير فأنت في حبالها. أما أن تقرأ الماركسية والمادية الجدلية والكيف والكم، هذه الاشياء تستطيع أن تفعلها الى الابد بينما الناس يركعون ويقبلون الايدي. إذن مشروعي أنا هو البداية بالوعي التاريخي، وبالواقع المباشر، والقدرة على تنظيره، وصياغته صياغة علمية وتحليله سواء لخدمة النواحي الثقافية المحركة، كنزع السلاح من الخصوم والاستعمار والرجعية وأستعمله في صفي، أو في نفس الوقت للثقة بالقدرة على صياغة نظرية تكون هي البديل المؤقت، وتجاوز مشروع النهضة، لذلك فأنا مستعد للتغيير ومستعد للحوار مع الاخرين. في رأيي، هذه هي النظرة العلمية للواقع، قد يكون عيبنا الاساسي هو البداية من المسلمات بدعوى سد النقص النظري المسبق.

أنجز الحوار محمد وقيدي، عبد الصمد بلكبير، ومحمد بنيس